

# آن ليه أن ييننام

(في رثاء محمود درويش)

محمود درويش  
(١٩٤١-٢٠٠٨)  
الشعر وفلسطين... معاً



## □ بيان الصفدي

يا «لاعب النرد»  
واخترت موتاً أكيدا!  
❖❖  
على قدر عينيك، محمود، كان المساء يصلني،  
لعلك آخر ما في فلسطين من صرخة  
تتردد عبر الفجاج  
وترفع مصباحها المتدلي .  
فقل لي : لماذا تركت الحصان وحيدا؟  
لماذا أدرت القصيدة له؟  
أحاولت أن تقتله؟  
❖❖  
على قدر شعرك تأتي فلسطين مزهوة بثياب القصائد  
قد طرزتك على ثوبها،  
حملتك كمفتاح بيت تعلقه في الضفيرة،  
أحاطتك بالراحتين  
كأنك شعلتها في الثواني الأخيرة .  
تقول : البلاد بلادي  
ليست تراباً .. وليست حجر  
ولا ناقلات الجنود .. ولا صافرات الخطر .  
بلادي حكايات أمي  
وخبز وقهوة أمي .  
بلادي النوافير

على قدر عينيك تأتي القصيدة باكية  
ثم تطلق سرب حمام،  
وتلقي الكلام على العشب حتى يضيء  
فتغمره بالتددي والورود  
لنا  
.. لفلسطين  
.. للمتعبين  
.. وللحالمين  
الذين يجيعون من موتنا .  
أنت علمتنا كيف تحنو الحروف على بعضها  
وتصير غمام  
تجر وراء خطاها طيور الكلام!  
على قدر عينيك نحنو على وطن من دم  
.. ونغذ الخطا  
.. ونرى في الظلام!  
❖❖  
لماذا تركت الحصان وحيدا؟  
ولاعبت موتك في كل يوم  
وأوهمتنا بالرحيل والموت  
والموت يختلس النظرات إليك  
ويمشي بعيداً؟  
ولكنك الآن غيرت لعبة هذي الغواية

وهي العصافير،  
أعشاشها .. والشجر.  
بلادي عيون بنيها،  
ورغبة أبنائها أن يشبوا،  
ورغبتهم أن يحبوا،  
وسحر الجمال الذي يكسر القلب  
في وردة أو قمر.  
بلادي الجمال الذي يملأ القلب  
حد البكاء،  
وحرية الورد أن يتفتح في الأرض  
.. أو في النساء،  
وحرية البحر أن يبعث الموج كيف يشاء،  
وحرية الطفل أن يقطف الغيم  
.. ثم يصففه فوق سور الفناء.  
بلادي طبيعية كمرور سنونوة في المساء،  
كحبل غسيل،  
كضحكة طفل،  
كمدفأة في الشتاء،  
كعاشقة ترسم السهم في القلب  
ثم تضم إليها السماء.

❖❖

... وقد كنت تحلم حلمًا طويلًا عسير  
في بلاد تناهشها كل غاز،  
وكل أمير أجير،  
وكل يسار أسير ضير،  
وكل يمين أمين على شاهدات القبور.  
وها أنت يا صاحبي بين هذا الحطام  
وهذا الركام،  
تروي وروذك بالدم والدمع  
تتركنا .. وتطير!  
الحقيقة دوماً على قلبي،  
فلمن سوف تحكي؟

❖❖

«إلهي لماذا تخلّيت عني؟»  
إلهي أعني  
وخذ بعض حزني،  
فإني شريدك أو قل طريدك.  
خذني فإني جريح طريح وقد وهن العظم مني.  
خذ القلب ما عاد في وسعه أن يجالد أكثر  
أو أن يواصل هذا الكلام،  
وما عاد في وسعه أن يدق  
وآن له أن ينام.

بيان الصفيدي

شاعر من سورية.